

الأمثال العربية الجاهلية مصادرها وموضوعاتها وأهمية دراستها

*Pre-Islamic Arabic Proverbs :**Their Sources, Themes, and the Importance of Their Study*

د. أسماء شاوي

¹ جامعة الجلفة (الجزائر)، a.chaoui@univ-djelfa.dz<https://orcid.org/0009-0002-5968-2184>

تاريخ القبول: 2026/02/07

تاريخ الإستلام: 2025/12/02

ملخص:

يبحث هذا المقال في انعكاس الأمثال على الحياة العربية في العصر الجاهلي، بعد أن اتضح دورها في حفظ تراث الأمة وفكرها، وبما أن الأمثال نوع من النثر الجاهلي لم تلق بدورها العناية الكافية من الدراسات العربية لكشف غمارها حاولنا في هذا المقال تسليط الضوء على الأمثال في العصر الجاهلي مصادرها ومواضيعها وأهمية دراستها. لقد كشفت الأمثال الجاهلية عن طبائع الناس في الجاهلية وطرائق تفكيرهم وعن عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وأخلاقهم وعن ملامح الحياة في العصر الجاهلي، وأن اهتمام العلماء بجمع الأمثال وتصنيفها ودراستها وتحليلها يعكس وعيهم بأهميتها.

الكلمات المفتاحية: الأهمية؛ الأمثال العربية؛ المواضيع؛ المصادر؛ النثر الجاهلي

Abstract:

This article investigates the impact of proverbs on Arab life during the pre-Islamic era. Their role became clear in preserving the nation's heritage and thought. Since proverbs are considered as a form of pre-Islamic prose, they have not received sufficient attention in Arabic studies to completely unveil their essence. This article attempts to shed light on pre-Islamic era proverbs, their sources, themes, and the importance of their study.

Pre-Islamic proverbs disclose the nature of people in the pre-Islamic era, their ways of thinking, their customs, traditions, beliefs, morals, and aspects of life in that era. The scholars' interest in collecting, classifying, studying, and analyzing proverbs reflects their consciousness of their significance.

Keywords: Arabic proverbs; Importance; Pre-Islamic prose; Sources; Themes

مقدمة

اهتم الكثير من الباحثين بدراسة الشعر الجاهلي قديماً وحديثاً وجعلوا منه مصدراً أساسياً وحيداً في دراسة حياة العرب في الجاهلية؛ ساعدهم على ذلك كثرة ما نقله الرواة من الشعر الجاهلي على حساب النثر الجاهلي الذي همش وأبعد عن مجال الدراسات الأدبية العربية، وبما أن الأمثال نوع من النثر الجاهلي لم تلق بدورها العناية الكافية من الدراسات العربية لكشف غمارها، حاولنا في هذا المقال أن نسلط الضوء على هذا النوع النثري الذي بالرغم من دراسات المستشرقين وبعض الدارسين العرب له لا يزال بحاجة إلى البحث والدراسة والتعمق أكثر.

تمحورت إشكالية المقال فيما يلي:

هل يمكن للأمثال أن تعالج الظواهر الاجتماعية وتؤرخ لمرحلة زمنية سابقة؟ وهل تتعلق مصادرها ببيئة المجتمع الذي نشأت فيه حقيقة؟ وكيف صورت الأمثال حياة العرب في الجاهلية؟

تمخض عن إشكالية الدراسة جملة من الفرضيات منها نذكر:

1. لا يمكن دراسة العصر الجاهلي دون العودة إلى الأمثال الجاهلية.
 2. إذا درسنا الأمثال كنوع نثري جاهلي نجدها مهمشة مقارنة بالشعر الجاهلي.
 3. إذا اهتمت مصادر الأمثال القديمة بجمع الأمثال وتصنيفها وإيراد قصصها فقط فإنها لا تزال بحاجة للدراسة والبحث.
 4. إذا مثلت الأمثال الجاهلية عصارة المخزون الفكري في الجاهلية فإنها ستعبر عن القضايا الاجتماعية والأخلاقية والفكرية في العصر الجاهلي.
 5. كلما فصلت الأمثال الجاهلية في إيراد القيم الاجتماعية فإنها تسهم في تكوين مجتمع سوي.
- يهدف المقال إلى كشف انعكاس الأمثال على الحياة العربية في العصر الجاهلي وإعطاء صورة شاملة عن فن نثري همش في مجال البحث الأدبي لأنه يصنف ضمن النثر الجاهلي الذي كان مغيباً نسبياً مقارنة بالشعر، وبيان أهميته ومصادره وموضوعاته، لتحقيق ذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي.

1. مفهوم المثل

أ. لغة: ورد في لسان العرب "المثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله، ... ويقال تمثل فلان: ضرب مثلاً، وتمثل بالشيء ضربه مثلاً" (منظور، 1999، الصفحات 22-23) يعرفه صاحب العين "المثل: الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله... والمثل (بكسر الميم) شبه الشيء في المثل والقدر ونحوه حتى في المعنى" (الفراييدي، 2003، صفحة 118) وفي المعجم الوسيط المثل "جملة من القول مقتطعة من كلام، أو رسالة بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهة بدون تغيير" (أنيس و آخرون، 1972، صفحة 854) في أساس البلاغة "مثل الشيء بالشيء إذا سوى به وقد تقديره" (الزمخشري، أساس البلاغة، 1979، صفحة 581) ينحصر المثل في جذعه اللغوي في معنى الشبه والند والمماثلة.

ب. اصطلاحاً: يورد السيوطي أن الفارابي يعرف المثل بقوله "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذله فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر ووصلوا به إلى المطالب القصية... وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة" (السيوطي، صفحة 486) سمي بالمثل لأنه كما يقول ابن رشيّق "ماثل لخطر الإنسان أبداً يتأسي به ويعط ويأمر ويزجر... وفيه ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى وحسن التشبيه" (القيرواني، 1981، صفحة 280) أغلب التعاريف التي تطرقت إلى مفهوم المثل أشارت إلى قيمته عند الناس يقول ابن عبد ربه في قوله "هو وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب،

وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى لسان فهو أبقي من الشعر، وأشرف من الخطابة" (ربه، 2001، صفحة 5) يقوم المثل على إسقاط تجارب سابقة مع تجارب جديدة حالية؛ فمورد المثل هو الحالة الأولى الأصلية التي ورد فيها المثل أما المضرب فهو الحالة المشابهة للحالة الأولى التي قيل فيها المثل.

والأمثال أقوال مقتضبة استحسنتها الناس من ناحية المبنى والمعنى فتداولوها فيما بينهم لسهولة حفظها لأنها عصارة تجارب إنسانية مثلت الإنتاج الفكري والثقافي للإنسان العربي في الجاهلية منها ما بقي رهين البيئة الجاهلية ومنها ما أصبح عاما يمكن تداوله في مختلف الظروف المتشابهة والعصور المختلفة خاصة الأمثال التي تدعو لمكارم الأخلاق.

2. مصادر الأمثال العربية الجاهلية

للأمثال أهمية كبيرة في التراث العربي نجدها في مختلف مصادره المتنوعة من أمهات الكتب والمعاجم اللغوية وكتب اللغة والتفسير والتاريخ والسير وكتب الحكمة والبلاغة وغيرها من المصادر ومن المصنفات التي اختصت بجمع الأمثال فقط.

يقول العسكري "لما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أسباب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي أجل الكلام وأنبه وأشرفه وأفضله لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها" (العسكري، 1988، صفحة 10)

اهتم العلماء قديما بجمع الأمثال وتدوينها في مصنفات خاصة تضمنت الأمثال وتفسيرها وإيراد قائلها إن عرف وموردها وما تيسر لهم من أخبار، غير أن أغلبها قد ضاع مثال ذلك "ما ألفه صحرار العبيدي وعبيد بن شربة الجرهمي وعلاقة بن كرشم الكلابي" (الرحمن، 1984، الصفحات 31-37)، رغم هذا ما بقي من مصادر وأخبار دلت على أهميتها في ذلك العصر خاصة بعد أن أقر بها الإسلام وأمر الله بتدبر معانيها في كتابه العزيز من أهم مصادر الأمثال الجاهلية نذكر:

1.2 أمثال العرب للمفضل الضبي (ت 168هـ):

أهم وأقدم مصدر للمثل العربي (الضبي، 1981، صفحة 7) اعتمدت عليه أغلب المصادر التي جاءت من بعده، لم يقتصر على الأمثال فحسب بل تطرق إلى ذكر الأخبار والأحداث التي رافقت المثل مما وفر للباحث في الأمثال الجاهلي مادة ثرية خصب، تضمن الكتاب مئة وسبعين مثلاً وهو صغير الحجم إذا ما قورن بكتب الأمثال التي ظهرت بعده.

2.2 جهمرة أشعار العرب لأبي هلال العسكري (ت 395هـ):

قسم الكتاب إلى تسع وعشرين باباً، تضمن حوالي ثلاثة آلاف مثل رتبها العسكري ترتيباً أبجدياً حسب الحرف الأول من كل مثل، لم يشر إلى المصادر التي استعان بها في كتابه بل أشار إلى الشيوخ الذين استفاد منهم، اعتمد في شرحه للأمثال على الإيجاز.

3.2 مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت 518هـ):

يصنف كأوسع مصدر للأمثال العربية القديمة حظي بالذيع والقبول، تضمن ستة آلاف ونيف مثل، رتب كتابه على حروف المعجم، سجل فيه القصص والروايات التاريخية والأخبار، استفاد من كتب الأمثال التي سبقتة مثل كتاب أبي عبيدة والأصمعي وأبي عبيد وأبي زيد والمفضل وغيرهم، استفاد من الأمثال الواردة في المصادر التي اطلع عليها، حيث نقدها نقداً سليماً واختار منها ما ابتعد عن خرافات العرب وأضاف لها شروحا احتوت قضايا نحوية وإعرابية استعان في ذلك بالكتب اللغوية، لم يقتصر الكتاب على إيراد المادة النثرية فقط فقد أورد أبياتاً شعرية كثيرة استعان بها في شرح الأمثال، أخذت بعض أمثال الكتاب عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي القديم في حين استمدت الأمثال الأخرى من أقوال العرب، تضمن أمثال الجاهلية والإسلام وأمثال العصور المتأخرة كما تضمن أمثال المولدين، من ثغرات الكتاب

تكرار الأمثال في أكثر من موضع فتارة يورد المثل في شعر الفصحاء وتارة في شعر المولدين وأحياناً يستخرج من القصة عنواناً فيتخذها مثلاً ومن القصة نفسها يستخرج عنواناً آخر فيتخذها مثلاً آخر فتختلف المسميات لمسمى واحد.

4.2 المستقصى في أمثال العرب لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ):

أقل ضخامة في مادته العلمية من كتاب الميداني، اتبع فيه النظام الأبجدي، أورد الأمثال وقصصها واستخداماتها وطريقة فهمها، ذكر بعض الشواهد والملاحظات والمصادر التي ترجع إليها والرواة الذين رووها، يمتاز الكتاب بغزارة الشواهد الشعرية، ما يعاب على الكتاب إغفاله جذر المادة يورد الأمثال بشكل دقيق متتابع لكنه يغفل أصل المادة.

3. مواضع الأمثال العربية الجاهلية

الأمثال الجاهلية من الفنون الأدبية الثرية، تضمنت أخبار العرب في الجاهلية وأيامهم وحروبهم وصورت تقاليدهم وعاداتهم وأخلاقهم ومعتقداتهم عبرت عن واقعهم المعيش بكل صدق وواقعية؛ حيث تضمن المثل الجاهلي في شموله ومضمونه عقل المجتمع الجاهلي وفكره" من أمثال الأمة نستطيع أن نتفهم الدرجة التي وصلت إليها، ونستطيع أن نعرف كثيراً من أخلاقها وعاداتها" (أحمد، 1975، صفحة 60)

من الصعوبة تحديد نوع المثل لأن الأمثال في أغلبها لم تنسب إلى قائلها أو إلى عصر محدد؛ لهذا نجد خلطاً كبيراً في تصنيفها حيث نجد أن "مجمع الأمثال" لم يكن دقيقاً في تصنيفه لبعض الأمثال رغم قيمته الكبيرة إلى أن الميداني أوردتها في موضعين متناقضين مثل "الحسداء لا يبرأ" (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 286) أوردته مع أمثال المولدين ثم أشار في موضع آخر أنه كلام أكنم بن صيفي (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 433) يمكن أن يعرف المثل إذا كان ينتهي إلى العصر الجاهلي انطلاقاً من توفر أحد هذه المعايير:

1. أن يكون قائله ينتهي إلى العصر الجاهلي
 2. أن يذكر في المثل شخصية جاهلية
 3. أن يرتبط المثل بحادثة وقعت في الجاهلية مثل حرب داحس والغبراء وغيرها
 4. أن يتوفر المثل على روح العصر الجاهلي مثل العصبية وأد البنات وغيرها.
- تتعدد أغراض المثل وتتنوع بحسب الحالة التي يقال فيها؛ فالمثل ليس محض أداة تزيينية يرد اعتباطاً في متن الكلام بل له وظيفة يؤديها وأغراض يرمي إليها وكلما وافق المثل الحالة التي ضرب فيها حقق أهداف قائله.

1.3 الأمثال والقضايا الاجتماعية:

من الأمثال الجاهلية التي عالجت القضايا الاجتماعية وأكدت عليها نذكر:

أ. ظاهرة التفاوت الطبقي:

التفاوت الطبقي ركيزة من ركائز المجتمع القبلي في العصر الجاهلي؛ حيث نجد الصرحاء وهم أشرف القبيلة وغير الصرحاء وهم من تحصلوا عن النسب بالنقل والأحلاف والعبيد والخلعاء من الأمثال التي يضربونها في هذا الموضوع قولهم "لن يزال الناس بخير ما تباينوا فإن تساوا هلكوا" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 243) يصرح المثل عن تقبل العرب للتمايز الموجود بينهم في الرتب فإذا وجد الأمر والمأمور لن تتعطل مصالحهم.

يقولون "لا يحسن العبدُ الكَرَّ إلاَّ الحَلْبُ والصَّرَّ" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 244) يرتبط المثل بقصة عنزة بن شداد مع والده حين طلب مساعدته لنصرة بني عبس والمثل يدل على التميز الطبقي الحاصل في المجتمع الجاهلي والتميز الذي يتعرض له العبد في القبيلة فهو وسيلة للرعي والحلب والاعتناء بالأغنام ولا علاقة له بالحرب وحمل السلاح والمعارك التي تركت للأحرار.

اشتد التفاوت الطبقي في المجتمع الجاهلي حيث شاع في اعتقاد بعض الملوك أن عامة الناس عبيد لهم فقالوا " ما جُعل العبد كربه" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 318) ويقولون "أعدى من الشنفرى" (الزمخشري أ.، المستقصى في أمثال العرب، ج1، 1977، صفحة 244) يحيل المثل على ظاهرة الصعلكة والتي ظهرت في العصر الجاهلي، حيث تمرد الشاعر على القبيلة ونظامها الجائر واتخذ لنفسه أسلوباً جديداً في الحياة وقد عرف الشعراء الصعاليك بسرعة عدوهم أثناء فرارهم من الغارات للحفاظ على حياته، جسدت شخصية الشنفرى مثال للصراع الطبقي الذي حدث نتيجة نظام القبيلة الظالم.

ب. مكانة المرأة:

رغم التحقير الذي تعرضت له المرأة في الجاهلية من وأد البنات في بعض القبائل ومن الأمثال التي انتقصت من قيمة المرأة وقامت بتحقيرها وتحميقها قولهم " لب المرأة إلى حمق" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 233)، والحمق خلق غير محبوب وصفت به المرأة، لأن ظروف الحياة في المجتمع الجاهلي جعلت منه مجتمعاً ذكورياً مارس العنف الاجتماعي ضد المرأة الجاهلية، هذا لا ينفي احترام الرجل لها وغيرته عليها في بعض المواقف حيث قيل "كل ذات صدر خالة" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 132) وقيل "كل شيء مه، ما خلا النساء وذكرهن" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 132) يدل المثلان على تعصب العربي للمرأة وغيرته الشديدة عليها جعلته يضع كل النساء في خانة محارمه فلا يظلمن ولا يقلل من شأنهن، أعطوها حرية اختيار زوجها " ترى الفتيان كالنحل وما يدريك ما الدخل" (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 172) يعود المثل إلى قصة مطرود البجلي الذي خير ابنته فاخترت زوجاً لها من بين نفر من الخاطبين لها فلم يكرها على الزواج وقولهم " المناكح الكريمة مدارج الشرف" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 340) هي بدورها تنظر للرجل نظرة سند وتقدير من أقوالهن " كل فتاة بأبيها معجبة" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 134) يبرز المثل العلاقة الوجدانية بين الأب وابنته في التراث العربي قبل أن تتطرق لها الدراسات الحديثة، ما يفرض على الأب التحلي بالصفات الحميدة حتى يكون قدوة حسنة و حتى لا تتشكل عند البنت عقد نفسية في نظرتها للرجل، يرفع المثل من شأن الأب ويجعل منه رمزاً للأمان بالنسبة للبنات، وقولهن " ترى من لا حريم له يهون" (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 180) تذكير بأن للمرأة أهمية كبيرة في حياة الرجل.

حملت الأمثال الجاهلية تجارب العرب بما فيها من بؤس وشقاء، سعادة وحزن، حسن وقبح قساوة ونعيم؛ وصورت الواقع الاجتماعي في العصر الجاهلي.

ج. دور الأسرة:

كان لبعض الأمثال الجاهلية صلة غير مباشرة بما يمكن أن نسميه تربية اجتماعية في العصر الجاهلي حيث وردت القيم فيها عرضية في حين اتصلت مباشرة بعض الأمثال الأخرى بالتربية الاجتماعية في العصر الجاهلي وأدت دور الموجه والمنظم للقيم الأخلاقية من مظاهر التربية الأسرية ما نجده في قصة إحدى بنات العرب والتي كان لها عمات وخالات الخالات يضحكنها ويلهينها والعمات يؤدبنها فقصبت على والدها القصة فقال لها "أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك" (الزمخشري أ.، 1977، صفحة 362) يقوم المثل على مبدأ التضاد بحث على اتباع الرأي الصائب مهما كانت عواقبه استعمله صاحبه ليمرر مقاصده إلى المتلقي حيث يُظهر المثل اهتمام الأسرة العربية بتربية البنت وتأهيلها لتكون زوجة وأماً ناجحاً.

وقولهم "نَهْنَا أُنْنَا عَنِ الْغِي وَتَعْدُو فِيهِ" (الزمخشري أ.، المستقصى في أمثال العرب، ج2، 1977، صفحة 32) للأُم تأثير قوي على بناتها بصلاحيها تصلح تربية بناتها وبفسادها تفسد أخلاقهن حيث تعود قصة المثل إلى امرأة تسترزق من الزنا ولها بنات فخافت عليهن، نتيجة لخوفها الشديد قالت احداهن هذا المثل للدلالة على التناقض في تصرفات الأم وأقوالها يلامس المثل الجانب الاجتماعي والجمالي معاً.

2.3 الأمثال والقيم الأخلاقية:

تقدم الأمثال الجاهلية صورة واضحة عن التربية الأخلاقية في العصر الجاهلي وهي نتاج البيئة الصحراوية التي مثلت المنبع الذي ينهل منه العربي وقد ظهر تأثيرها على الشخصية العربية في سلوكياتها وعاداتها وتقاليدها، من أهم القيم الأخلاقية التي تطرقت لها الأمثال الجاهلية نذكر:

أ. الفروسية:

كثيرة هي الأمثال التي تحدثت عن الفروسية في العصر الجاهلي، ارتبطت بصفات حميدة، أفرزتها طبيعة المجتمع القبلي القائم على الصراع والمنافسة لأجل البقاء، أشارت أمثال الفروسية إلى الفارس ومجده بطولاته، عادة ما يرتبط اسم الفارس بقبيلته فيزيدها فخرا ومجدا وبدورها تحافظ له على مكانته وقيمه في المجتمع وإذا قتل تحزن عليه ويثار له لأنه بفقدان الفارس تفقد القبيلة قوة حربية ونفسية واجتماعية، يقولون "أفرس من سمّ الفرسان" (الزمخشري أ، 1977، صفحة 269) لإبراز الفروسية في بني تميم، ويقولون "أفتك من البراض" (الزمخشري أ، 1977، صفحة 265) تتجلى فيه فروسية بني كنانة الأمثلة في هذا الباب كثيرة ومتنوعة وهي في الجاهلية "مظهر من مظاهر الحياة نشأ عن عوامل اجتماعية وأخلاقية وحربية (...)" ساعد على تطور هذا النظام فطرتهم السليمة" (دياري، 2015، صفحة 18) موجودة معاني الفروسية في أغلب القيم الجاهلية من صبر وكرم وشجاعة وغيرها.

ب. الكرم:

الكرم من الأخلاق الشائعة في الجاهلية فقد حرصوا عليه كثيرا يقولون "جار كجار أبي داود" (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 204) إذا جاوره شخص أحسن إليه إذا توفي وداه وإذا هلك ماشيته أخلفه عنها بل قد يعرض نفسه للخطر حتى لا يقال سئل فأعرض ويعود المثل حسب ما أورده الميداني على أعرابي يدعى كعب بن مامة عرف بكرمه مع أبي داود الذي قلده في ذلك وصار يفعل مع جيرانه مثل ما فعل معه كعب.

يروى لكعب بن مامة قصص في الكرم منها أنه خرج مع النمر بن قاسط في رحلة وأنهم في الطريق يتداولون شرب الماء في مرة لمح كعب النمري ينظر إلى مائه فأثره بنصيبه اليوم الأول والثاني والثالث ونتيجة ذلك عجز عن مواصلة الطريق ومات (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 229) والأمثلة التي تضرب في الكرم كثيرة منها:

- أجود من حاتم (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 228) اسم حاتم معروف في الثقافة العربية بالجلود والكرم، بمجرد ذكره يستحضر المتلقي قصصه مع الكرم.
- أجود من كعب بن مامة (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 229)
- أجود من هرم (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 235)
- أظل من سنان (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 522) تعود قصة المثل إلى "سنان بن حارثة المري" الذي هجر أهله لأنهم عابوا عليه جوده وكرمه مع الناس.

الكرم من الأخلاق التي مجدت في العصر الجاهلي وتباهت بها القبائل والأمثلة عليه كثيرة، وهو من الصفات التي تتمناها الزوجة في زوجها يقولون "جاورينا وأخبرينا" (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 203) في مورد المثل أن امرأة تقدم لها عريس فكان أحدهما قبيح والآخر وسيم فقررت الاختيار عن طريق إجراء اختبار لهما، أظهر الاختبار أن الوسيم بخيل وأن القبيح جواد فتزوجت القبيح لكرمه.

هذه الأسماء الموجودة في الأمثال العربية الجاهلية (حاتم، كعب، هرم وغيرها) استطاعت بصفاتها أن تشكل تكتيفا دلاليا وحضورا ذهنيا من خلالها استطاع المثل أن يحقق وظيفته التواصلية والتفاعلية.

أصبح الكرم بمثابة الحاجة الاجتماعية التي لا بد منها في بيئة صحراوية يصعب فيها البقاء على قيد الحياة، لهذا نحتاج مثل هذه الأفعال للحفاظ على الوجود البشري.

ج. الوفاء:

الوفاء من الأخلاق الثابتة في المجتمع الجاهلي فمن وعد ألزم نفسه على أن يفي بوعده، وفي الجاهلية من نكث بوعدهم شهروا بغدره فلا يأمن له أحد بعد ذلك، من النماذج المعروفة في هذا الباب قصة السموأل بن حبان مع امرئ القيس أثناء ذهاب امرؤ القيس إلى قيصر يطلب مساعدته لاستعادة ملك أبيه مر بالسموأل وأمنه على أمواله ودرعه، بعد موت امرؤ القيس خير السموأل أحد ملوك الشام بين أن يقتل ابنه أو أن يسلم أمانة امرؤ القيس بعد مشاوره مع أهله وإجماعهم على اختيار حماية الابن اختار السموأل أن يسلم درع وأموال امرؤ القيس إلى ورثته وضى بابنه وفاء بوعده قطعه لغيره فضرب فيه المثل "أوفى من السموأل" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 440)، لم يكن الوفاء حكراً على الرجال فقط في الجاهلية بل نجده متجذراً في النساء أيضاً يقولون "أوفى من فكمية" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 445) وهي خالة الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد؛ ضرب فيها المثل بعد أن أجارت الشاعر الصعلوك السليك ووفت بوعدها، ذكر اسم المرأة في المثل يوحي بمكانتها.

سلوكيات الإنسان نتاج لعوامل مختلفة اجتماعية ونفسية وبيئية تفاعلت وتمازجت في داخله، وما المثل إلا انعكاس لحياة الإنسان بكل ما فيها.

د. الشجاعة:

فرضت الحياة في البيئة العربية التحلي بالشجاعة فالقوة هي شعار كل عربي في ذلك العصر، وهي من الأخلاق التي بها ينال مكانة مرموقة في المجتمع القبلي يقال "الشجاع موق" (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 448) الشجاع يخافه الناس ويرهبونه وقد بلغت عند بعضهم مرحلة التهور.

"طبع الصحرَاء أخلاق العرب بطابعها فتحلوا منذ القدم بالشهامة والكرم والوفاء والنجدة وحب الحرية وامتدت هذه الصفات إلى الأدب الجاهلي بمعظم أفكاره ومعانيه" (زيد وذيب كفائي، 2011، صفحة 22).

لم تقتصر الأمثال على تصوير الحياة الجاهلية فحسب بل أثبتت صحة نسبتها للعصر الجاهلي الموضوع الذي كان محل شك بعض الدارسين أمثال طه حسين كما أثبتت وجود حياة اجتماعية أخلاقية صحيحة نظمت العلاقة بين الفرد والمجتمع القبلي، من يتصفح كتب الأمثال العربية يجد حرص المجتمع الجاهلي على مكارم الأخلاق والمفاضلة بها.

تتأثر هذه القيم أحياناً بالعصبية والحاجة والظروف الاجتماعية لهذا نجدها في بعض المواقف متباينة متناقضة فمثلاً الإغارة في أصلها انتهاك لحرمة الآخر غير أننا نجدها ضمن أمثال الكرم، والوفاء والصبر.

3.3. القصص التاريخية :

عكست مجموعة من الأمثال جانباً من القصص التاريخية في العصر الجاهلي، أحياناً بطريقة موجزة وأحياناً بتفصيل دقيق، والأمثال التي حملت أبعاداً تاريخية كثيرة فالأمثال "كلمات قليلة يسيرة، تحمل الكثير من المعاني (...)" وتستثير على قلتها أحداثاً تاريخية ذات وقائع متعددة" (قطامش، 1988، صفحة 256)، خصص لها الميداني في "مجمع الأمثال" الباب التاسع والعشرون فصل الحديث فيه عن أيام العرب في الجاهلية حيث ذكر أسماء القبائل وأماكن تواجدها جغرافياً وأخبارها؛ اعتمد في ذكر هذه الأمثال وأخبارها على الأسلوب السرد القصصي وهي غير مقصورة على الباب التاسع والعشرين فقط

بل نجدها مبعثرة في ثنايا الكتاب ككل لأن مؤلفه اعتمد في شرحه للمثل على قصة المثل والأخبار التي رافقته من بين هذه الأمثال نذكر "جوع كليك يتبعك" (الميداني، مجمع الأمثال، ج1، 2000، صفحة 207) قال المثل أحد ملوك حمير عرف بعنفه مع رعيته وسلب أموالهم، ومن يفعل ذلك فإن مصيره القتل، لما سمعت زوجته التوعد بقتله طلبت منه أن يرحمهم، فقال استخفافا بهم، وقولهم "لا غزو إلا التعقيب" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 286) تضمن المثل قصة تاريخية حول "حجر بن الحارث" الذي خرج للغزو في أحد جهات عمان، في غيابه أغار أحد أمراء الغساسنة على بلاده واستولى على أمواله وسبى زوجته وأثناء انصرافه بها سألها عن ردت فعل حجر عند سماعه للخبر فقالت: "أراه ضاربا بحوشنة على واسطة رحله وهو يقول: سيروا لا غزوا إلا التعقيب" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 287) وفعلا استطاع اللحاق بهم وقتل ابن مندلة واسترداد أمواله وزوجته.

وقول الزباء بنت عمرو بن الأطرب "بيدي لا بيد عمرو" (الضبي، 1981، صفحة 147) استلمت الزباء العرش بعد قتل والدها من قبل جذيمة بسبب الصراع بين المملكتين حيث استدرجت جذيمة إلى قصرها بحجة الزواج وفك الصراع لتوحيد المملكتين، وافق على طلبها وأسند مهام الحكم إلى عدي بن عمرو.

بعد أن قتلت الزباء جذيمة بلغ الخبر إلى عمرو فحثه قصير بن سعد على الثأر لخاله وحضر حيلة تقوم على تعذيبه وجلده ليتوجه بعدها إلى الزباء مدعيا أنه شجع الملك جذيمة على الزواج منها لذلك انتقم منه عدي صدقته الزباء واسكنته قصرها ليحتال عليها ويعود بجنود مملكته للثأر منها بعد أن خرج منه بحجة التجارة، لما تفتنت الزباء لذلك قالت مقولتها المعروفة وشربت السم، لتصبح المقولة مثلا يضرب لكل شخص يتحمل مسؤولية أفعاله.

4. أهمية دراسة الأمثال العربية الجاهلية

صدرت الأمثال في الجاهلية عن العامة تناقلوها فيما بينهم مشافهة إلى عصر التدوين، نقلت حكمتهم وعبرت عن تجاربهم حيث وظفوها للتعبير عن حاجاتهم من غير تصريح، لقد قدمت الأمثال الجاهلية صورة دقيقة عن النثر الجاهلي، لأنها حافظت على صورتها الأصلية لمدة طويلة بسبب إيجازها وسهولة حفظها وكثرة تداولها بين الناس وتدوين العرب لها، فقد "كان الرجل من العرب يقف فيرسل عدة أمثال سائرة لم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها إلا لما فيها من الرفق والانتفاع" (الجاحظ، 1998، صفحة 271) تعد الأمثال مخزونا فكريا للثقافة والعادات والتقاليد والمعتقدات توجه الأمة وتنقل أنماط حياتها وتفكير وسلوكيات أفرادها في "معان وكلمات ينطق بها في مناسبات معينة، فتستحوذ على إعجاب السامعين، إما لطرافة فيها، أو لدقة في معانيها، وإما لتجانس لفظها" (خميس، 1993، صفحة 16).

نظرا لأهمية الأمثال وشح بها الكتاب كتباتهم وأثرى بها الشعراء أشعارهم وتداولها العامة من الناس في أحاديثهم وأقاصيصهم.

إلى جانب القيمة الأدبية للأمثال كانت لها قيمة علمية فقد صورت الأمثال الجاهلية الطب الجاهلي والذي كان عندهم عبارة عن مزيج من التداوي بالأعشاب والرق والتعاويد والسحر وما إلى ذلك من أمثلة ذلك نذكر:

قولهم "الواقية خير من الراقية" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 436) في المثل إشارة إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر

وقولهم "ريح حزاء فالنجاء" (الميداني، مجمع الأمثال، ج2، 2000، صفحة 401) الحزاء اسم نبات يشبه الكرفس يبخرونه في الجاهلية على الشخص الذي أصيب بمس الجن حتى يشفى.

وقولهم "نعم الدواء الأزم" (الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، 2000، صفحة 289) يقصد بالأزم اجتناب كثرة الطعام لأن في كثرتة مضرة للجسم.

وقولهم "أطب بالكي من ابن حذيم" (الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، 2000، صفحة 542) يشير المثل إلى التداوي بالكي وهو شائع عند العرب قديما، وقد ذكر الميداني في مجمعه أن ابن حذيم رجل من تيم الرباب عرف بالحدق في الطب (الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، 2000، صفحة 542).

نقلت الأمثال العربية الجاهلية جزءا كبيرا من عقلية العرب في الجاهلية من خلال الأساطير والخرافات، رغم ضياع جزء كبير من هذه الأساطير مع ما ضاع من أخبار الجاهليين، استطاعت الأمثال العربية الجاهلية أن تبين الدور الذي لعبته الأساطير والحكايات الخرافية في حياة العربي في العصر الجاهلي من أقوالهم في هذا الباب نذكر:

قولهم «حديث خرافة» (الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، 2000، صفحة 195) زعموا أن خرافة رجل من عذرة استحوذت عليه الجن وبعد أن عاد أخذ يحدث الناس عما عاشه فاتخذ كمثل لكل ما يستحيل وقوعه.

وقولهم "كالأرقم إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم" (الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، 2000، صفحة 169) من معتقداتهم أن الجن تطلب بثأرها ممن يقتلها إما بقتله أو بدفعه إلى الجنون.

وقولهم "أمل من تعقاد الرتم" (الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، 2000، صفحة 326) الرتم من عادات العرب في الجاهلية وهي عقد الرجل خيط في شجرة إذا أراد السفر فإن انفك الخيط دل ذلك على خيانة زوجته له والعكس، يضرب هذا المثل كحيلة لتخويف المرأة من أن تقترب خيانة في حق زوجها.

تحدثت الأمثال الجاهلية عن النشاط الاقتصادي للقبائل العربية وعن التجارة وعن المهن والحرف من أقوالهم "أشتر لنفسك وللسوق" (الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، 2000، صفحة 450) يقصدون به أشتر سلع إذا بعثها تنفق عليك.

يوظف المثل في الاحتجاج فهو مقبول عند الناس؛ حيث يكثر أصحاب الجدل والمناظرات من توظيفه ليزيد من حجتهم ويضعف من حجة خصومهم بأسلوب وجيز وبلغ يقول السيوطي "قال أبو عبيدة الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعاوض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه" (السيوطي، صفحة 178) لها دور في البلاغة والفصاحة، تحول الصور العقلية إلى صور حسية مما يسهل فهمها وحفظها وتداولها بين الناس.

تعزز الأمثال القيم الاجتماعية والأخلاقية وترسخها فهي وسيلة توجيهية تربوية، كما تحافظ على هوية المجتمع الجاهلي، وعلى الثروة اللغوية، هي بمثابة المنهل المناسب إلى جانب الشعر في دراسة التراث الفكري والثقافي والاجتماعي واللغوي للمجتمع الجاهلي ودراستها بمثابة حفظ لجزء كبير من التراث العربي.

ساعد على خلود الأمثال العربية القديمة عوامل كثيرة أهمها: القيم التي تضمنتها الأمثال، ارتباط المثل بتجارب العرب الذاتية، قيمتها اللغوية وسهولة حفظ المثل وتداوله لإيجازها.

خاتمة:

- المثل ضرب من النثر له عناصر وخصائص مميزة يخص العامة من الناس سهل الحفظ سريع الانتشار بين الناس وهو وسيلة للتعبير غير المباشر.
- اهتمام العلماء بجمع الأمثال وتصنيفها ودراستها وتحليلها يعكس وعيهم بأهميتها.
- يصدر المثل عن عامة الناس باختلاف ثقافتهم وطبقاتهم وأعمارهم، يتم تداوله مشافهة بينهم.
- كشفت الأمثال الجاهلية عن طبائع الناس في الجاهلية وطرائق تفكيرهم وعن ملامح الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية في العصر الجاهلي.
- تعد الأمثال وقصصها مصادر تاريخية مهمة لرصد الحياة الجاهلية بمختلف جوانبها لأنها صادرت عن عامة الناس.
- أسهمت الأمثال العربية في الحفاظ على القيم الأخلاقية ونشرها بين الناس.
- تنهض الأمثال العربية بوظيفة تعليمية وإرشادية وعظمية، حيث تثرى المواقف التي تقال فيها.

التوصيات:

- إذا أردنا التأسيس لأدب عربي معاصر لا بد من دراسة التراث الأدبي والانطلاق منه.
- إعداد فهرس مرقمة للأمثال العربية القديمة من حيث المصدر والموضوع والأسلوب.
- إعادة تحقيق النسخ القديمة من مصادر الأمثال العربية القديمة لأن أغلب التحقيقات قديمة من أجل الاستفادة من التطور الحاصل في مجال التحقيق العلمي.
- التعمق في دراسة وتحليل الأمثال العربية القديمة من خلال توظيف مناهج نقدية حديثة في دراستها.
- التشجيع على إنجاز دراسات وأبحاث جامعية وعقد ملتقيات وندوات علمية حول الأمثال العربية.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم أنيس، و و آخرون. (1972). *المعجم الوسيط*، (ج2)، (ط2). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- ابن عبد ربّه. (2001). *العقد الفريد، تحقيق محمد التوحي، (مج3)، (ط1)*. بيروت، لبنان: دار صادر.
- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. (1999). *لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق الغبيدي، (ج13)*. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي.
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (1977). *المستقصى في أمثال العرب، (ج1)*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (1977). *المستقصى في أمثال العرب، (ج2)*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (1979). *أساس البلاغة*. بيروت، لبنان: دار صادر.

- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. (1998). *البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (ج1)، (ط7)*. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
- أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني. (1981). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (ج1)*. بيروت: دار الجيل.
- أبو هلال العسكري. (1988). *الأمثال، ضبطه وكتبه هوامشه أحمد عبد السلام وخرج أحاديثه محمد سعيد زعلول، (ج1)، (ط1)*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أحمد بن محمد بن أحمد الميداني. (2000). *مجمع الأمثال، (ج1)*. ضبط وتعليق سعيد محمد اللحام. بيروت، لبنان: دار الفكر.
- أحمد بن محمد بن أحمد الميداني. (2000). *مجمع الأمثال، (ج2)*. ضبط وتعليق سعيد محمد اللحام. بيروت، لبنان: دار الفكر.
- إسماعيل خميس. (1993). *أمثال و أمثال لكل الأجيال، (ج1)*. دبي: معهد الشارقة للتراث.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي. (2003). *كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هند/وي، (ط1)*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- المفضل بن محمد الضبي. (1981). *أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس، (ط1)*. بيروت، لبنان: دار الرائد العربي.
- أحمد أمين. (1975). *فجر الإسلام (ط16)*. القاهرة، مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي. (د ت). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أحمد حاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم* بيروت، لبنان: دار الجيل.
- سامي يوسف أبو زيد، و منذر ذيب كفائي. (2011). *الأدب الجاهلي، (ط1)*. عمان، الأردن: دار المسيرة.
- عبد المجيد قطامش. (1988). *الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية*. دمشق، سوريا: دار الفكر.
- عفيف عبد الرحمن. (1984). *مكتبة العصر الجاهلي وأدبه، (ط1)*. بيروت: دار الأندلس.
- محمد عطا رشيد ديارى. (2015). *معاني الفروسية في الشعر الجاهلي*. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.